العرب
الإثنين 2020/02/24
السنة 42 العدد 11627

بيان رقم واحد عراقي.. هل يحظى بدعم أميركي؟

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

ليس المقصود ببيان رقم واحد ذلك العنوان الذي يرمز إلى الانقلابات العسكرية في الموروث السياسي الذي عاشه جيل العراقيين المعاصرين كالانقلاب الدموي البشع ضد حكم العائلة الملكية في يوليو 1958 أو ما تلاه في انقلاب يوليو 1968. البيان رقم واحد العسكري للوصول إلى السلطة أصبح صعباً في العراق، خاصة بعد حلّ الجيش العراقي وتضييق الخناق على القادة العسكريين في مؤسسة الجيش. وسائل ثورية سلمية جديدة غير حزبية فرضت نفسها للوصول إلى السلطة، قد نطلق على بدايتها عنوان بيان رقم واحد المدني لها أمثلة ناجحة في منطقتنا العربية، ومثال جديد يتفاعل حالياً للنجاح في العراق.

الشباب العراقي الحالي فتح أعينه على حكم يجمع بين شعارات دينية مذهبية مسيّسة وأخرى ديمقراطية جلبها الأميركان للعراق بعد احتلاله، لكن الواقع كان صادما لأبناء هذا الجيل بعد حرمانهم من أبسط مقوّمات الحياة ونهب ثروات بلدهم بتقاسم بين شركاء سلطة الأحزاب الدينية المدعومة بسلاح الميليشيات، مثلما كان مخيّباً لآمال الأميركيين وإستراتيجيتهم في العراق والمنطقة.

بيان رقم واحد للثورة في العراق أعلنه جيل الشباب باستخدامه أدوات ثورة التكنولوجيا والإنترنت والتواصل الاجتماعي المدنية، بدل بندقية القتل والكراهية والجهل. جيل عراقي جديد محبط اكتشف كيف يتمتع من حولهم أبناء عالم اليوم بمزايا الحياة الآمنة المدنية والمعرفة وهم محرومون منها رغم مداخيل بلدهم العالية. لهذا تمردوا على مقدسات النظام السياسي المحنّطة ومرجعياتها الإيرانية. واندهش آباء هذا الجيل الشبابي من هذه القوة الخفية التي تدفع أبناءهم للاستمرار بمواجهة آلة القتل في ساحات الاعتصام.

الهدف الجديد لمعسكر السلطة ضد الانتفاضة هو محاصرتها ومنع تواصل شبابها بالعالم الخارجي لتوصيل فعالياتهم وانتهاكات القتل والاختطاف، لتحويل هذا التواصل وتطويره إلى برنامج وطني عراقي يحظى بدعم جميع المتضررين من سياسات النفوذ الإيراني في العراق. في وقت يواصل فيه خصوم الشعب تشويه سمعة المنتفضين بخطاب رثّ لا ينتمي إلى الواقع كالإدعاءات بعمالة الثوّار للأميركان والعرب.

حملات التشويه لا تمنع انتقال الانتفاضة ومشروعها السياسي في التغيير إلى مرحلة التواصل مع العالم ومطالبة مجلس الأمن الدولي ومنظمات حقوق الإنسان والمجتمع المدني العالمية بالضغط على السلطة في العراق، وفضح انتهاكاتها وترتيب سبل إدامة الحركة الاحتجاجية ودعمها سياسيًا، في ظرف يحتاج فيه المنتفضون إلى دعم أشقائهم العرب، إلى جانب دعم واشنطن بعد اكتشافها مدى تورطها في وصول الحالة العراقية إلى ما هي عليه اليوم بعد دعمها لأحزاب الإسلام السياسي الشيعي ومنح نظام وليّ الفقيه الإيراني تسهيلات سيطرته المطلقة على البلد. وبعد انتهاء مفاعيل ترويج أكذوبة الدعم اللوجستي الأميركي للانتفاضة، فلا بأس الآن من تحويلها إلى مطالبة جدّية لدعم حركة الانتفاضة العراقية إن كانت واشنطن جادة في ذلك. فلماذا يكون ذلك حلالا على السياسيين الشيعة وحراما على شعب العراق.

ألم يقابل قادة من السياسيين الشيعة قبل عام 2003، وبينهم عبدالعزيز الحكيم، مسؤولين أميركان في واشنطن ورجوهم الدعم للخلاص من نظام صدام حسين لأنه قتل واضطهد قادة حزب الدعوة؟ ألم يعبّروا عن شكرهم للرئيس جورج بوش على اجتياحه العسكري للعراق حين سلّم زعيم حزب الدعوة آنذاك، إبراهيم الجعفري، لوزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد في بغداد سيف علي بن أبي طالب وفاء لهذا الدعم. فضلا عن تنظيم الأحزاب الشيعية عام 2006 لحملة إعلامية خلال فترة الحرب الطائفية نددت خلالها بدعوات إخراج قوات الاحتلال الأميركي وطالبت ببقائها لحماية حكمهم.

وقبل أن تذهب الآمال كثيرا في احتمالات تحقق وسائل الدعم الأميركي للشعب العراقي للخروج من محنته، لا بد من تأكيد حقيقة أن تعاطي الأميركان في السياسة ليس مثلما يفهمه غالبية المعنيين من أهل المنطقة بيوميات تغلب عليها العاطفة والخطابة، بل إن القرارات تحصل نتيجة استراتيجيات سياسية ينفذها من يتوالون على زعامة البيت الأبيض من جمهوريين وديمقراطيين، وهناك مؤسسات تقدّم النصائح لأصحاب القرار تتم من خلالها مراجعة وتعديل تلك السياسات في الملفات التي تهمّ المصالح الأميركية العليا.

هذا ما يحصل حاليا في الملف العراقي ضمن إطار شامل يخص المنطقة، وهناك سياسة يبدو أنها جدية في ظل إدارة الرئيس دونالد ترامب الحالية للربط بين التخلي عن النظام القائم في العراق وبين مخطط إزاحة هيمنة نظام خامنئي عنه. فُسّرت على إثرها الكلمات العاطفية التي وجّهها ترامب للعراقيين بعد الهجوم على سفارة بلاده ببغداد، وكأنها دعوة دعم وإسناد لهم حين خاطبهم بقوله "لهؤلاء الملايين من الناس في العراق الذين يريدون الحرية ولا يرغبون في الهيمنة والسيطرة الإيرانية هذا هو وقتكم"، وهي ليست عبارات اعتباطية في دلالاتها السياسية التي تؤكد أنّ هناك تحوّلا إذا ما ارتبط بإجراءات أخرى سيحدث تأثيرات مهمة في المشهد السياسي العراقي.

ما يدعم هذا التوجّه الأميركي الجديد المقال الذي كتبه قبل أيام الباحث الأميركي في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات بواشنطن جون حنا نائب المستشار السابق للرئيس الأميركي بوش الابن، ودعوته إدارة ترامب إلى اتخاذ خطوات جادّة من أجل "إنقاذ العراق" وتغيير نظامه وفق خطوات تبتدئ بعدم دعم رئيس الوزراء الجديد محمد توفيق علاوي لأنه عاجز عن حلّ أزمة انهيار شرعية الطبقة السياسية التي حكمت في العراق بعد عام 2003، ولعدم قدرته على إنهاء نفوذ إيران والميليشيات الموالية لها في العراق. والقيام بحملة منسقة لإبقاء الأضواء مسلّطة على الاحتجاجات والهجمات التي تنفذها إيران وأذرعها ضد المتظاهرين. وتبنّي الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها لقرارات مجلس الأمن والمنظمات الدولية للتعبير عن التضامن والاهتمام بالشعب العراقي. وإيجاد طرق لمساعدة المنظمات غير الحكومية العراقية والدولية التي تعمل مع المحتجين وتساعدهم على الوصول إلى تقنيات الاتصالات الآمنة لمواجهة إجراءات الحكومة العراقية المقيدة للإنترنت.

لماذا لا يمكن الوثوق بالحوثيين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يخطئ من يعتقد أن الحوثيين (أنصار الله) في اليمن تغيّروا. يخطئ أكثر من يتخيّل أن في استطاعتهم أن يتغيّروا أو أنه يمكن أن يتغيّروا في غياب تبدّل حقيقي وجذري في موازين القوى العسكرية على الأرض. تؤكد ذلك المحاولات الأخيرة التي قاموا بها من أجل إطلاق صواريخ من صنعاء في اتجاه الأراضي السعودية، مستهدفين مواقع مدنية على وجه الخصوص. كشفت هذه الصواريخ مدى عدوانية الحوثيين من جهة، وصدق الذين أكّدوا منذ البداية أنّ ليس في الإمكان الوثوق بهم من جهة أخرى.

المسألة، في نهاية المطاف، في غاية البساطة. المسألة أن القرار الحوثي قرار إيراني ولا شيء آخر غير ذلك، تماما مثل قرار "حزب الله" في لبنان. توجّب على الحزب في مرحلة معيّنة المشاركة المباشرة في الحرب المستمرّة على الشعب السوري منذ العام 2011. لبّى الطلب الإيراني من دون تردّد. ليس "حزب الله" سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، عناصره لبنانية. وليس "أنصار الله"، الذين يمتلكون علاقة قويّة إلى أبعد حدود بـ"حزب الله"، سوى لواء آخر في "الحرس الثوري"، عناصره يمنية.

هذه حال "أنصار الله" الذين تظاهروا في مرحلة معيّنة بأنّهم مستاؤون من القرار الإيراني بضرب منشآت "أرامكو" السعودية في أيلول – سبتمبر الماضي عن طريق صواريخ انطلقت من الأراضي الإيرانية. لم يكن الاستياء، الظاهري، من ضرب إيران لمنشآت سعودية، بل من إلباس طهران الحوثيين عملية إطلاق الصواريخ وجعلهم يتبنونها.

تبيّن مع مرور الوقت أن لا استياء من أيّ نوع. هناك فقط سيناريو متفق عليه بين الحوثيين والإيرانيين من أجل تمكين "أنصار الله" من التفاوض مع السعودية بهدف الحصول على مساعدات، هم في حاجة شديدة إليها، في ظلّ تدهور الوضع الاقتصادي الإيراني بسبب العقوبات الاقتصادية الأميركية.

ليس صدفة أنّ تأتي المحاولات الحوثية الأخيرة لإطلاق صواريخ من صنعاء في اتجاه المملكة مع زيارة وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو للرياض.

في تلك الزيارة التي قابل فيها بومبيو الملك سلمان بن عبدالعزيز، كما أجرى محادثات مع وليّ العهد الأمير محمّد بن سلمان، حصلت نقلة نوعية على صعيد التقارب السعودي – الأميركي في اتجاه موقف مشترك أكثر عمقا وثباتا في مواجهة الخطر الإيراني بكلّ أبعاده.

كشفت الزيارة مدى استيعاب الإدارة الأميركية الحالية لخطورة المشروع التوسّعي الإيراني من جهة، ومدى استعدادها للتصدّي له. جاءت تصفية قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني لتظهر أن الإدارة الأميركية برئاسة دونالد ترامب تعرف تماما أنّ لدى الولايات المتّحدة حسابات قديمة في حاجة إلى تصفية مع "الجمهورية الإسلامية". حسابات تعود إلى العام 1979 عندما احتجزت السلطات الإيرانية 52 دبلوماسيا أميركيا، كانوا يعملون في سفارة طهران، لمدّة 444 يوما. هناك تذكير أميركي دائم باحتجاز الدبلوماسيين هذه الأيام. هذا ما فعله ترامب لدى تهديده بالرد على أيّ عدوان إيراني يستهدف الأميركيين عن طريق ضرب 52 هدفا في الداخل الإيراني. يرمز كلّ هدف من هذه الأهداف إلى أحد الدبلوماسيين الأميركيين الذين احتجزتهم إيران...

جاء إطلاق الصواريخ من صنعاء بمثابة ردّ إيراني على زيارة بومبيو، والنتائج التي يبدو أنّها أسفرت عنها. أرادت إيران توجيه رسالة فحواها أنّ لديها قاعدة في اليمن، وأنّ الحوثيين ليسوا سوى أداة من أدواتها.

تكفي مراجعة سريعة لكلّ الاتفاقات التي توصّل إليها الحوثيون مع خصومهم في السنوات الست الأخيرة، أي منذ وضع يدهم على صنعاء في الواحد والعشرين من أيلول – سبتمبر 2014، كي لا تعود هناك أي أوهام في شأن كيفية التعاطي معهم واللغة التي يفهمونها.

تخلّل المرحلة التي سبقت السيطرة الحوثية على صنعاء تمدّد حوثي في اتجاه محافظة عمران انطلاقا من صعدة. في سياق هذا التمدّد، استطاع "أنصار الله" تصفية وجود آل الأحمر، أبناء الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر (توفي في العام 2007)، زعماء قبيلة حاشد. كان ذلك تطهيرا لعمران من نفوذ حزب التجمّع اليمني للإصلاح الذي تحوّل بعد وفاة الشيخ عبدالله حزبا يسيطر عليه الإخوان المسلمون كلّيا.

طمأنت خطوات الحوثيين الرئيس الانتقالي عبدربّه منصور هادي الذي لم يتردّد في التوصّل إلى تفاهمات مع "أنصار الله" في وقت كانوا في طريقهم إلى صنعاء. أخذوا بدربهم مواقع مهمّة كان يسيطر عليها اللواء 310 بقيادة العميد حميد القشيبي، المحسوب بدوره على الإخوان المسلمين وعلى اللواء علي محسن صالح الأحمر نائب رئيس الجمهورية حاليا، وهو من أقرباء علي عبدالله صالح وأحد الذين انقلبوا عليه في العام 2011.

فتح التخلّص من اللواء 310 أبواب صنعاء أمام الحوثيين الذين نسوا، فجأة، كل التفاهمات مع عبدربّه منصور هادي الذي أراد ممارسة لعبة التوازنات مع الإخوان المسلمين. ما إنْ وقّع الحوثيون في صنعاء "اتفاق السلم والشراكة" برعاية الأمم المتحدة ممثلة بجمال بنعمر، حتّى انقلبوا على الرئيس الانتقالي وأجبروه على الاستقالة بعد وضعه في الإقامة الجبرية. ما لبث عبدربّه أن استطاع الفرار من صنعاء إلى عدن في شباط – فبراير 2015.

يمكن الحديث طويلا عن الأخذ والردّ بين الحوثيين في مرحلة ما بعد "اتفاق السلم والشراكة" الذي لم تكن له علاقة لا بالسلم ولا بالشراكة من جهة، وعلي عبدالله صالح الذي ائتمنهم من دون أن يأتمنهم من جهة أخرى. لكن الثابت في كلّ مرحلة من المراحل التي تلت يوم 21 أيلول – سبتمبر 2014 أنّ الحوثيين طرف يمتلك حساباته الإيرانية. كلّ ما عدا ذلك مضيعة للوقت لا أكثر وتفاصيل يمكن التوقف عندها للتأكد فقط من أمر واحد. هذا الأمر هو أن لا فائدة من أي حوار مع الحوثيين على الرغم من أنّه لا يمكن تجاهل أنّهم جزء من المعادلة اليمنية، وأن لا مجال لتجاهلهم متى باتت الأجواء جاهزة لتسوية ما على صعيد البلد ككلّ.

لم يوقّع الحوثيون يوما اتفاقا والتزموا به. كان اتفاق ستوكهولم في أواخر السنة 2018 من أجل كسب الوقت ليس إلا. نجحوا وقتذاك، مستخدمين مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة، مارتن غريفيث، في وقف المحاولة الجدية الوحيدة من أجل إبعادهم عن ميناء الحديدة الاستراتيجي.

لا جديد على الأرض في اليمن حاليا. المأساة اليمنية مستمرّة. ضحيتها كلّ يمني، بما في ذلك أهل صنعاء الذين عليهم العيش في ظلّ نظام متخلّف لا يمتلك أي مشروع حضاري من أيّ نوع.

كل الأبواب تبدو مغلقة أمام أيّ تغيير حقيقي في صنعاء... ما دامت إيران موجودة فيها أكثر من أيّ وقت.

> لا جديد على الأرض في اليمن حاليا. المأساة اليمنية مستمرّة. ضحيتها كلّ يمني، بما في ذلك أهل صنعاء الذين عليهم العيش في ظلّ نظام متخلّف لا يمتلك أي مشروع حضاري من أيّ نوع